الاسلام والعالم

— ١ —

بقلم : الاستاذ عبد الرزاق العائش

من أهم البحوث الاجتماعية التي يرتاح فيها الفكر ، ان ويتوق الى معرفتها الجنان . بحث فلسفة التاريخ . وفي الحقيقة ان هذا البحث رغم ما فيه من طلاوة وفائدة ، لا يأمن خائضه من عثرات يكبو بها جواد الفكر في مضمار اليقين ، فيستعين على النهوض بالتوكؤ على عصا القياس والتخمين . هذا مع العلم ان مجرى التاريخ متصل غير منفصل ، ومجرى الحضارة — لمن أراد درس الحضارة — مستمر يمتزج فيه قديمه بجديده ، كما يمتزج ماضيه بحاضره . إذ يجد حوادث جمة غيرت وجه الارض فهدت ممالك وبنت ممالك على انقاضها ؛ واقامت صروحا مقام صروح ؛ واستبدلت ملوكا بآخرين ، ويجد حروبا وثورات قلبت معالم الاجتماع رأساً على عقب ؛ فجعلت عاليها سافلها وسافلها عاليها ، ويجد عباقرة برزوا على معاصريهم في كل فن وعلم ؛ وصبغوا الحضارة بصبغة جديدة ، هي صبغتهم الخاصة . الى آخر ما يجد من التغيرات الجسيمة التي منها تتألف فصول التاريخ .

وانما أوقفت طائفة من المؤرخين جهودها على بعض الحوادث وبعض الرجال ؛ وأفاضوا فيها وفيهم الكلام . . لأن هؤلاء المؤرخين اقتصروا في الغالب على ذكر ما بدا للعيان ، وطفا على السطح ، ولم يدركوا غير النزر القليل من عوامل التعمق التي تصنع التاريخ ... مضافا الى هذا بعض المؤثرات التي حالت بينهم وبين الوصول الى الحقيقة ؛ وأهمها العاطفة . لاسيما في عصرنا الحاضر — عصر النور — الذي هو أشد عصور التاريخ اضطرابا . فقد ارتبكت فيه الافكار والآراء أيما ارتباك ، واختلطت الاجناس والشعوب أيما اختلاط ، وتنازعت المواطف والنزعات أيما تنازع ، وتضاربت المصالح والاهواء أيما تضارب ، حتى كاد يتعذر علينا الاهتداء وسط هذه التيها من جراء هذه العاصفة .

لذا بقي التاريخ سراً غامضاً لم تحل بعض رموزه ؛ وكتاباً مغلقاً لم يقرأ بنو الانسان سوى قليل من حواشيه ، على الرغم من ان العالم في تطور سريع ؛ ورغم ان مطامحه ومثله العليا في تغير مستمر ، في الاجتماع ، والاقتصاد ، والدين واللغة ، والادب والفن ، وفي كل ميدان من ميادين الحياة ماديا كان أو معنويا .

وبما ان هذا البحث من البحوث الدقيقة المهمة . قل ان يجرأ عليه كاتب مثلي خالي الوفاض ، قليل مادة العلم ، إلا اذا كان في نفسه رجاء بمن هو فوقه علماً ، وأرقى منه معرفة ، ان يمده بعونه ويصحح خطأه ؛ خدمة للعلم وافادة للناس . وهذا الرجاء بعث في النشاط للخوض في هذا البحث ، أتحرى فيه يعرف عن مقياس الظروف الحاضرة وتأزمها التي يرزح تحتها الاديب فيقابل نتاجه بالصفح والاعراض ، أو يعبث به حيناً ثم يرجعه اليه مرفوضاً بعد عام أو عامين كأن الاديب من ارباب الاموال الطائلة فاذا ما ضحى بشطر منها في تمجيد بلاده والدعاية لها فلا مانع من ذلك .

قل لي ماذا يصنع الاديب الكامل في جو مليء بالمتناقضات ، ومؤلف من عناصر لا تؤمن بغير المادة ولا تهوى إلا اشباع الشهوات وتحقيق اللذات . أيريدون منا أن نصبح كزنوج افريقيا لا نفهم شيئا ؛ أم يريدون منا أن نبقى امة جاهلة لا تعرف قواعد دينها الحنيف ومجدها القويم . ولولا زمرة قليلة ممن آتاهم الله شعرا في التفكير واخلاصا للوطن العزيز وشعوراً نحو مواصلة المجد واحياء العلم لذهبت هذه الصبابة من الاناء ولقضي على هذا اليسير من النتاج الذي اصبح باعراض الاغرار والاثرياء عنه لا يسمن ولا يغني . فهؤلاء قوم آمنوا بالفضيلة واعتزوا بالمبدء السامي فساهموا في مساعدة العلماء والادباء مساهمة ضعيفة هي خير من العدم بالنظر لامكانهم .

فهل يتصور اخواننا الذين علوا علينا بما لهم وسطوتهم انهم ظالمون لنا غاصبون لحقوقنا أم هل يتصور اخواننا اننا اصبحنا وقوداً لهم نهديهم السبيل وندلهم على الطريق وندافع عنهم عند نزول الكوارث وجلجلة الاهوال ؛ ارجو ان ينتبهوا لمؤازرتنا ويتعدوا عن هضم حقوقنا ويرجعوا لنا ثمن المابنا ليكون الله معهم ومعنا والله ولي التوفيق ومنه لستمد العون .

علي الخاقاني

الأجمال ما امكن دون تفصيل ؛ خوفا من خطأ الفكر بالتوسع في مناحي التاريخ والنهور في مجال التطول ، وقد جعلته اربعة فصول تمين على الوصول الى النتيجة المطلوبة وهي ـ أهمية الاسلام بالنسبة الى الحضارة الحاضرة .

الفصل الأول

عصر الرسالة ومعاصريها

ولد صاحب الشريعة الاسلامية (ص) سنة ٥٧١ م وقام بالدعوة سنة ٦١١ وتوفى سنة ٦٣٢ (سنة ١١ هجرية) وسأتخذ الزمن الوسط فاجعل المعاصرة من سنة القيام بالدعوة الى سنة الوفاة (سنة ٦١١ ـ ٦٣٢) ليتسنى لي الوقوف على معرفة الملوك والبابوات الذين عاشوا في ذلك الزمن ، واشهر الحوادث التي حدثت فيه ؛ واشهر الدول التي كانت آنذاك .

١ ـ المملكة الرومانية الشرقية : وكان امبراطورها « هرقل » المشهور ، تولى عام ٦١٠ أي قبل البعثة بعام واحد وظل على كرسي القسطنطينية الى ما بعد خروج الشام ومصر من حوزته وتوفى عام ٦٤٠ م

٢ ـ الدولة الساسانية : وكان على عرشها كسرى برويز تولى الملك سنة ٥٩٠ فقتله ابنه سيروس سنة ٦٢٧ وتوالى بعده عدة ملوك في بضع سنوات ، وفى سنة ٦٣٢ تولى يزدجرد وظل حتى غلبه المسلمون واخرجوا المملكة من يده سنة ٦٥١ م

٣ ـ رافنا : وكان عليها يوأنس ليمجيوس تولاها سنة ٦١١ وخلعه ابلاتيريوس سنة ٦١٦ م

٤ ـ لومبارديا : كان عليها أجيلولف تولى سنة ٥٩١ وخلفه ادولد سنة ٦١٥ ثم اريولد سنة ٦٢٥ وظل الى سنة ٦٣٦ م

٥ ـ النيسيفوط : تولاها غوندمار سنة ٥٩١ وخلفه سيسبرت سنة ٦١٢ دريكارد الثاني سنة ٦٢٠ وسونيتلا سنة ٦٣١ وسيسفاند سنة ٦٣٢ م

٦ ـ الفرانك : كان يحكم ممالكهم غير ملك واحد في وقت واحد الى سنة ٦١٣ فاستقل بالحكم كلوتير الثاني حتى خلفه داغوبرت سنة ٦٢٨ وظل الى عام ٦٣٧ م

٧ ـ بريطانيا : كانت بريطانيا مؤلفة من ست مقاطعات يحكم كلا منها ملك مستقل ، ومن التطويل ان اذكر اسماءهم جميعاً .

٨ ـ البابوات : ظهرت الدعوة الاسلامية وعلى كرسي رومية البابا بونيفا سيوس الرابع ، فخلفه دبوسديديت سنة ٦١٥ ثم بونيفاسيوس الخامس سنة ٦١٩ ثم هونوريوس الاول سنة سنة ٦٢٥ وظل الى سنة ٦٣٩

هذه اشهر الملوك والبابوات واشهر الدول في ذلك الزمن واما اشهر الحوادث واعمها الحرب بين الروم والفرس وهما اقدم الدول المعاصرة يومئذ ، وكأنهما شاختا فاذن الزمان بزوالهما ؛ فقام الخصام بينها وانتشبت الحرب وشبت نارها وسفكت الدماء اعواما طوالا حتى ظهر الاسلام فكان قاضياً على الدولتين وغلبهما جميعاً .

***

والنزاع بين الروم والفرس قديم كأنه بين الشرق والغرب فقضيتا أجيالا متطاولة بين حرب وصلح وهدنة حتى كانت أيام كسرى برويز في أواسط القرن السادس للميلاد ؛ وامبراطور الروم يومئذ موريسيوس ، وكان بين الدولتين صلح ، فحدثت في بلاد فارس ثورة اهلية آلت الى خلع كسرى هذا فالتجأ الى موريسيوس فانجده واعاده الى ملكه وازوجه ابنته ماريا ، فتوطدت العلائق السلمية بين الدولتين . وفي سنة ٦٠٢ م قام فوكاس أحد قواد الروم على الامبراطور موريسيوس وقتله وتولى مكانه فعظم ذلك على كسرى وحمل بجنده على القسطنطينية مظهراً الانتقام لحميه ، وهو انما يريد الاستيلاء عليها فلم يستطع فتحها ، ولكنها ظلت في حصار متواصل في اثناء حكم فوكاس ، فملة الروم فاستدعوا « هرقل » ابن والي القيروان واستنجدوه على فوكاس فقتله وتولى مكانه سنة ٦١٠ م

وكان الفرس يومئذ قد قاموا على الروم قومة واحدة فارسلوا جنداً حاصر القسطنطينية ؛ وآخر حاصر بيت المقدس وآخر حاصر الاسكندرية ، والناس يفرون من وجه الفرس في كل صوب .

يتبع

عبد الرزاق العائشي